

أخلاقهم وآداب لغتهم ولاسيما الشعر والخطابة وهذا الحادث هو الفتنة التي ابتدأت  
بقتل عثمان ولم تنته آثارها إلى الآن.

### منشأ الفتن الإسلامية

منشأ الفتن الإسلامية أيها السادة شيء واحد هو النزاع بين المنكية والجمهوريّة وقد  
بدئ هذا النزاع بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فكان بنو هاشم يرون المنكية  
الشورية ويعلمون أنهم أحق الناس بوراثة الملك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولسان  
هذا الحزب علي والعباس وكان أبو بكر وعمر وعامة الصحابة يرون الجمهوريّة عنى  
أن تنحصر في قريش لأن القرآن لم يحمي بوراثة الملك ولأن النبي قد قال الأئمة من  
قريش وقد انتصر هذا الحزب عنى جماعة الأنصار الذين كانوا يريدون أن يكون منهم  
أمير كما انتصر عنى بنو هاشم أيضاً فبويع لأبي بكر وعمر ومن بعده لم يتخلف عن  
البيعة بنو هاشم لأنهم كانوا يرجون أن يؤول الأمر إليهم بعد موت هذين الرجلين ولما  
وضع عمر قاعدة الشورى بويع عثمان وجد بنو هاشم في أنفسهم وبايعوا مكرهين لأن  
بنو أمية وهم رهط عثمان كانوا أكثر قريش عصبية وأشدّها قوة وكان يخشى منهم أن  
ينهضوا فيشتوا الملك لأنفسهم بالسيف ولذلك لم تمض عنى بيعة عثمان أعوام حتى  
تأزت أطراف الدولة عنى الولاية وكثر الطعن في الخليفة والنعي عنده ثم أقبنت وفود  
العراق ومصر إلى المدينة وقد اضطروا الشر واستشعروه فحاصروا دار عثمان ولم  
يتركوها حتى قتلوه وبايعوا عنياً وكان هذا أول عهد الإسلام بالفتنة ولما قتل عثمان  
وبويع علي خرج عنده طلحة والزبير وعائشة يطالبون بدم عثمان فكانت بينه وبينهم  
موقعة الجمل ولم تكد تمخض هذه الثورة حتى خرج عنده معاوية وأهل الشام يخنعونه  
ويطلبون قتل عثمان ويردون الأمر شورى بين المنين فكانت بينه وبينهم مواقع

صفين ولما التحم القتال بينهما ولجأوا إلى التحكيم خرج طائفة يقولون أن عنياً ومعاوية ومن تبعهما قد كفروا بالله ومرفقوا من الدين فحنت لنا أموالهم وأنفسهم ونسأؤهم وهكذا انقسم المنون أقساماً وتحزبوا أحزاباً.

تفرقوا شيعاً فكل جزيرة ... فيها أمير المؤمنين ومير

قتل علي وتم الأمر لمعاوية ولكنه لم يمض حتى عاد الانقسام إلى المنين أشد مما كان ونشأت فتن عذقت لها وحدة الأمة وتغانت من أجنها القوى ولست أريد أن أذكر الفتن وأخبارها ولا أن أشرح غوامضها وأسرارها بل يكفي أن أذكر لكم الأحزاب التي أوجدتها هذه الفتن فأولها حزب الشيعة وهم أنصار بني هاشم وهؤلاء انقسموا قسمين كبيرين فمنهم من دعا إلى بني علي ومنهم من دعا إلى بني العباس - الثاني حزب الأمويين وهؤلاء انقسموا قسمين أيضاً فمنهم من دعا إلى بني معاوية ومنهم من دعا إلى بني مروان - الثالث حزب الزبيرية وهم أنصار عبد الله بن الزبير وكل هؤلاء يطنبون المنك ويطمعون فيه. الرابع حزب الخوارج وهؤلاء قد انقسموا أقساماً كثيرة ولكنهم يطنبون الجمهورية - الخامس حزب المرجئة ومد جماعة لم يظهروا الميل إلى حزب من الأحزاب ولم يحكروا على أحد بكفر ولا بإيمان وغنما تركوا ذلك نكث وقد أظهروا الطاعة لكل منك عادل من أي حزب كان. . . وكل هؤلاء الأحزاب كانت تحكم إلى السيف والقوة وتدافع عن آرائها بالشعر والخطابة وقد سنكروا بالشعر في تنكم الأيام مسلك الصحف السياسية الآن وأنا أترك لكم تقدير ما ينال الشعر والخطابة في اثر ذلكم الاختلاف من عنو المزلّة وسمو المكانة ولكني أقول أن الخطب قد طالت وتنوعت مناحيها وسنك بها الخطباء طرقاً حجة في الجدال وقد رقت ألفاظها واستعارت من القرآن الكريم شياص من رشاقة الأسنوب ومئاته ولم تكن تحسب

الخطبة إلا إذا رصعت بشيء من آي الذكر الحكيم على طريقة الاقتباس وقد اختصت الخطابة في هذا العصر بوجوب ابتدائها بحمد الله والصلاة على نبيه فإذا لم تبدأ بالحمد فهي براء وإذا خنت من الصلاة فهي شوهاء وهذه هي المعذرة التي جئني على أن أخالف في هذه الخطبة عادة العصر الجديد.

### الآداب العربية في أيام بني أمية

تملنك لبني أمية آخرة الأمر وقد ورث العرب أرض الفرس والروم وقيأت لهم أسباب الثروة والغنى فكنوا القصور الشامخة واتخذوا نضائد الحرير وسطور الديباج وطعموا في آنية الذهب والفضة وصحت فيهم نبوة أبي بكر رضي الله عنه حين قال لعبد الرحمن بن عوف والله لتأخذن نضائد الحرير وسطور الديباج ولتألن النوم على الصوف الأزدي كما يألم أحدكم النوم على حنك السعدان فلم يكن لأنفسهم بد من أن تتأثر بهذه الحضارة ولم يكن لألسنتهم مندوحة عن أن تخضع لهذا التأثير فرقت الألفاظ والمعاني ورشقت الأساليب والتراكيب وقد أعرب القوم عن أهواء أنفسهم وعواطف قلوبهم بالغناء ونشأت فيهم طبقة من الشعراء لم تحسن إلا ذكر النساء والتشبيب بهن وطبقة أخرى لم تجد إلا وصف الخمر والإشادة بمحاسنها وآخرون نبغوا في المدح والهجاء والوصف والرثاء والفخر والوعظ وغيرها من فنون الشعر وقد ظهر ميل القوم إلى العنم فأخذوا يبحثون عنه ويسعون إليه وبدأوا يضعون عنوم الدين واستعاروا كثيراً من الألفاظ الأجنبية لكثير من المعاني الخدثة ولكن خطراً كبيراً قددهم اللغة ولم يكن إلى اتقائه من سبيل فنذع العرب الآن في جزيرتهم ولنقف آثار اللغة في مواطنها الجديدة لعرف هذا الخطر من مصدره وتبين ما أعدوه له من الدواء.

كيف انتشرت اللغة العربية

خرجت اللغة العربية من جزيرة العرب مع جيش المسنين فصادفت لغة الفرس والروم في الشام والعراق فطردتهما ثم انتقلت إلى مصر فصادفت لغة الروم والقبط فطردت الأولى ومحت الثانية ثم أخذت طريقها في شمال أفريقية فلقبت لغات البربر فحصرتهن في رؤوس جبال الأطلس ثم جاوزت إلى الأندلس فالتقت باللاتينية والقوطية فحصرتهما في الكنيسة وبيوت المسيحيين.

كل ذلك في مدة لا تتجاوز حصة وثمانين عاماً فمن أين لها هذه القوة وذلكم البأس الشديد. ؟

هنا يجب أن نسير في البحث على مهل وأناة لأننا بإزاء شبهة عصرية ترد على الدين واللغة معاً.

قالوا أن دين العرب ولغتهم لم يسودا إلا بالقوة والسيف ولست أريد الآن أن أذود عن الدين فرما أدبت هذا الواجب في محاضرة أخرى وغنما أريد أن أدافع عن اللغة التي هي موضوع بحثنا الآن.

اعتذر بعض القديسين من ظنم الكنيسة في القرون الوسطى فقال يضطهد الأشرار من يكرهون ولكن الكنيسة تضطهد من تحب.

أما أنا فأقول أيها السادة أن الإسلام لم يضطهد حياً ولا عدواً وإذا كانت حضارة الفرنج ومدنيتهم قد أبحاثهم أن ينشروا لغتهم وهجيتهم وعلومهم وآدابهم بالقوة والبأس فإن بداوة العرب وهجيتهم لم تبيحاً لهم شيئاً من ذلك في صدر الإسلام وكذب من يزعم أن في التاريخ العربي الجميل إشارة ما إلى أن اللغة العربية قد التجأت في سؤدها إلى القوة أو اعتمدت على السيف.

وكيف لا يكذب ودواوين الحكومة الإسلامية في الشام والعراق ومصر بقيت أعجمية إلى عصر عبد الملك بن مروان أي إلى الزمن الذي استعربت فيه الناس وأصبح من خطل الرأي وسوء السياسة معاملتهم بغير اللغة التي يفهمونها.

إذاً فما هي الأسباب الحقيقية التي نشأت عنها انتشار اللغة وسوددها. ؟

إن لبعض الأمم قوة طبيعية تمكنها من القهر والتغلب ومن الفوز والانتصار المادي والأدبي أفي وجدت وإذا أردت لهذا النوع من المم فلن أجده مثلاً الآن أصدق من الإنكيز في أمريكا.

أولئك الذين يسحقون شخصية الأمم ويمحقون جنسها في أميركا ويفنون عندها جنسهم ولغتهم ودينهم من غير اعتماد على قوة ولا اعتداد بسلاح وقد كان العرب من هذا النوع فتسكنوا من التغلب الأدبي ولولا أن لغتهم صادفت من أهل الفرس عداءً وحقداً ومن لغتهم قوة وشدة لأتت عليها في وقت قريب.

وهناك سبب آخر لانتشار اللغة العربية وهو الدين العربي الذي يأخذ كل مسلم بالصلاة ومعنى ذلك أنه يأخذ كل مسلم بحفظ شيء من القرآن الكريم وليس على الدين من ذلك بأس فإن الله لم يزله إلا ليجعل الناس أمة واحدة كما أنه لم يسد بالقوة ولم ينشر بالإكراه.

ولقد نشأت عن اختلاط العرب بالعجم ومصاهرتهم شيء من فساد الألسنة واعوجاجها وظهور اللحن في اللغة من لمولدين والمستعربين وهذا هو الخطر الذي أشرنا إليه آنفاً ولما أحمده العرب في القرن الأول للهجرة نهضوا لإصلاح رسم المصحف ووضع النحو والصرف وجمع اللغة وتدوينها ولكن انقضت الدولة الأموية ولما يحصلوا من ذلك على شيء كثير.